الفصل الثالث

حلاوة القرءان في أقوال السلف

ـ **وقال معاذ** عند موته: إنما أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

قلتُ: وإنما خص ليل الشتاء بالقيام ونهار الصيف بالصوم لمعاني:

ـ منها أنّ ليل الشتاء طويل فتطول ساعات القيام، كما أنّ نهار الصيف طويل فتطول ساعات الطاعة وهذا أثوب.

ـ ومنها أنّ ترك النوم في ليل الشتاء صعب وشاقٌ على النفس، وكذا احتمال الصيام في نهار الصيف خاصةً عند اشتداد البرد واشتداد الحر.

ـ ومنها أنّ القلب يلين في الشتاء جداً، فإذا قام العبد من الليل في الشتاء اجتمع سببان لتذوق حلاوة القرءان، وهما لين القلب في الشتاء مع سكينة وخشوع وقت الليل. وأمّا الصيام في نهار الصيف فطويل وشاق فيورث ذلك القلب من الحلاوة ما لا يوجد في صيام غير الصيف

خاصةً عند الإفطار. كما أنّ الصائم إذا وجد مسّ الجوع والعطش وتذكَّرَ عظيم الأجر والثواب المدخر له في الآخرة أورثه ذلك حلاوةً خاصةً يجد طعمها في قلبه.

ـ **وقال أبو يعقوب الزيات** يوماً لبعض المريدين: تحفظ القرءان؟ فقال: لا، فقال: واغوثاه بالله، مريد لا يحفظ القرءان كأترجة لا ريح لها، فبِمَ يتنعم، فبِمَ يترنم، فبِمَ يناجي ربه؟ أما تعلم أنّ عيش العارفين سماع النغم (أي القرءان) من أنفسهم وغيرهم (رواه في الحلية).

ـ **وقال الحسن البصري**: والله يا ابن آدم لئن قرأت القرءان ثمّ آمنت به ليطولنّ في الدنيا حزنك، وليشتدنّ في الدنيا خوفك، وليكثرنّ في الدنيا بكاؤك (رواه في الحلية).

قلتُ: إذا خاف القلب من ربه وحزن على تقصير النفس في الطاعة بكت العين، وإذا بكت العين من خشية الله سُرّت النفس ووجدت النعيم واللذة؛ قال أحدهم وهو يصف العارف: تبكي عينه وتضحك نفسه، قلبه مجروح وصدره مشروح.

ـ **وقال أحمد بن أبي الحواري**: إني لأقرأ القرءان فأنظر في آيةٍ آيةٍ فيحار عقلي فيها، وأعجب من حفاظ القرءان كيف يهنيهم النوم ويسيغهم أن يشتغلوا بشيءٍ من الدنيا وهم يقرءون كلام الرحمن، أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحْلُوا المناجاة به لذهب عنهم النومُ فرحاً بما رُزقوا ووُفِّقوا (رواه في الحلية).

ـ **وقال فضل الرقاشي**: ما تلذذ العابدون ولا استطارَّت قلوبهم بشيء كحُسْن الصوت بالقرءان. وكل قلبٍ لا يجيب على حُسْن الصوت بالقرءان فهو قلبٌ ميّت. وأيُّ عينٍ لا تهمل على حسن الصوت إلّا عينُ غافلٍ أو لاهٍ. (رواه ابن أبي الدنيا).

قلتُ: الصوت الحسن بالقرءان من الصادق الخاشع يحرِّك القلوب تحريكاً. وقد صحّ عن جبير بن مطعم أنه لما سمع رسول الله ﷺ يقرأ بسورة الطور وقرأ قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ (الطور ٣٦:) كاد قلبه أن يطير. فأين هؤلاء الخاشعون

الذين يورثون القلوب الخشية بقراءتهم؟!! فما أحوج الأمّة الآن إلى أمثال هؤلاء الصادقين الذين يُسمع ترتيلهم فتُستَشعر السعادة واللذة من قراءتهم؛ روى في الحلية: «كانت قراءة الفضيل بن عياض حزينة شهية بطيئة مترسلة» ورُوي عن داود الطائي «أنّ قراءته كانت شهية كأنّ سعادة الدنيا كلها في قراءته».